

مهملات الأوزان في الدوائر العروضية - دراسة وموازنة

A Comparative Study of the Muhmalat in the Prosodic Circles

عبدالله محمد عبدالرحمن

مدير الدراسات الدبلوماسية

جامعة الخرطوم - السودان

تاريخ الاستلام 2012/1/4 تاريخ القبول 2012/5/29

الملخص: يتناول هذا البحث مهملات الخليل مع مقارنتها بمهملات الألفاظ و يربط بين الدائرة العروضية ومعجم العين، مبيناً أن الخليل قد استخدم نظرية التوافق والتبادل ليكون الدائرة العروضية وهي عين الفكرة التي انشأ عليها معجم العين، وخلص إلى أن استخدام النظرية الرياضية هو الذي تمخضت عنه مهملات الأوزان والألفاظ، استعرض الباحث النظريات المختلفة حول الدائرة العروضية وعرض لمهملات ابن القطاع الصقلي وأبي البقاء الرندي والزمخشري وبين نظريتهم في الدائرة العروضية.

عرض الباحث بعد هذا لبعض الأوزان المهمة التي نظم عليها القدماء والمحدثون واشتهرت بينهم، واستعرض آراء الباحثين من القدماء والمحدثين في جواز النظم على الأوزان المهمة.

Abstract: This article discusses the Muhmalat “obsolete meters” in prosodic circles and endeavors to demonstrate that Alkalilk ibn Ahmad made use of the mathematical table of permutations and combinations in compiling his 'Dictionary' Kitab al-'ayn” and applied the same theory to his elaborate circle system in prosody, the author states that the use of this theory resulted in the creation of the Muhmalat. The author of this Article also provides the reader with a compendium of theories that have been made by Arab prosodists about the Muhmalat and discusses them. The article also presents samples of obsolete meters used by old and contemporary Arab poets and became famous and eventually excluded from being obsolete.

مقدمة

تعرّضتُ في ثنايا هذا البحث لمذهب الخليل بن أحمد في وضعه لعلم العروض ومعجم العين مجتهداً في أن أبينّ علام اعتمد في وضعه لهذه التصانيف، فقد سبق الأقدمون إلى

فكرة مؤداها أن الخليل قد بنى مذهبه في العروض على مذهبه في اللغة، وذلك في تقليب الألفاظ في اللغة وتقليب التفاعيل في العروض، فإن الخليل لما أراد حصر الألفاظ العربية أفاد مما كان يتمتع به من معرفة بالعلوم الرياضية على ما ذكر بعض مؤرخيه فلجأ إلى استخدام نظرية التباديل والتوافيق الرياضية في طريقة إحصاء الكلمات العربية بعد أن حدد أبنية الكلام العربي من الثنائي إلى الخماسي، فقلب الكلمات على الأوجه الممكنة منها، وحددها بعض العلماء بأنها تصل إلى اثنتي عشرة مليون كلمة. ومال إلى تقليب الكلمات التي كونها من أحرف العربية من الثنائية والثلاثية والرابعة والخماسية، فإذا أراد تقليب الكلمة الثلاثية "ضرب" قلبها على وجوها ليستخرج بذلك كل كلمة يمكن أن تستخرج من هذه الأحرف الثلاثة، يقول الخليل: اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو: قد، دق، شد ودش، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي نحو ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، رضى.

والكلمة الرباعية تتصَرَّف على أربعة وعشرين وجهاً، وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة فتصير أربعة وعشرين وجهاً، يُكتب مستعملها ويُلقى مهمله، وذلك نحو عبقر . عقرب . عبرق . عقبر . عرقب . عربق . قعرب . رعبق . بقعر . قربع . قرعب . ربع . ربعب . ربعق . ربعر . بعقر . بعرق . بقرر . بقرع . برقع . برقب . والكلمة الخماسية تتصَرَّف على مائةٍ وعشرين وجهاً، وذلك أنَّ حروفها وهي خمسة أحرف تُضرب في وجوه الرباعي وهي أربعٌ وعشرون فتصير مائَةً وعشرين حرفاً يُستعمل أَقلُّ وَيُلْقَى أَكثرُه...^(I)

ونجد الإشارة عند الأقدمين إلى أن الخليل قد استخدم علم الحساب يقول ابن دريد: " وأنا مفسر لك ما يرتفع من الأبنية الثلاثة والرابعة والخامسة بضرب من الحساب ووضح..⁽²⁾

أما بهاء الدين العاملي فقد كان أكثر تفصيلاً يقول " إذا قيل كم يتحصّل من تركيب حروف المعجم كلمة ثنائية سواء أكانت مهملة أو مستعملة فاضرب ثمانية وعشرين في سبعة وعشرين فالحاصل جواب، فإن قيل كم يتركّب منها كلمة ثلاثية بشرط ألا يجتمع حرفان من جنس فاضرب حاصل ضرب ثمانية وعشرين في سبعة وعشرين في ستّة وعشرين يكن تسعة عشر ألفاً وستمائة وستة وخمسين، وإن سئلت عن الرابعة فاضرب هذا المبلغ في

خمسة وعشرين والقياس منه مطرّد في الخماسي فما فوق..⁽³⁾ وإذا وضعت هذه المسألة في أرقام فيمكن أن نكتبها على الصورة التالية:

$$\begin{aligned} \text{حاصل ضرب الثنائي: } 27 \times 28 &= 756 \text{ كلمة ثنائية.} \\ \text{الثلاثي: } 26 \times 27 \times 28 &= 19656 \text{ كلمة ثلاثية} \\ \text{الرباعي: } 25 \times 26 \times 27 \times 28 &= 491400 \text{ كلمة رباعية} \\ \text{الخماسي: } 24 \times 25 \times 26 \times 27 \times 28 &= 11793600 \text{ كلمة خماسية} \end{aligned}$$

قال الأزهري " وروى الليث بن المظفر في أول كتابه "هذا ما ألفه الخليل بن أحمد من حرف أ ب ت ث التي عليها مدار كلام العرب وألفاظها أراد بذلك أن يعرف جميع ما تكلمت به العرب في أشعارها وأمثالها وألا يشدّ عنه شيء منها، فأراد بما ألف منها معرفة جميع ما يتفرّع منها إلى الآخر، وأنّ ما أسس ورسم بهذه الحروف يُعرف به جميع ما هو من ألفاظهم إذا تُنبّع، لا أنّه تتبّع كلّ فحصله واستوفاه فاستوعبه"⁴ وهذه الفكرة هي عين ما استخرج به البحور من التفاعيل، فحصر أجناس الأوزان فجعلها ثمانية، وكلّ جزء من هذه الأجزاء يتكوّن من أسباب وأوتاد، وهي وحدات موسيقية تقوم مقام الحروف في الألفاظ، فبدأ بتقليب هذه الأجزاء على أسبابها وأوتادها، واستخرج بعضها من بعض ليحصر بذلك الأوزان العربية، فالجزء "مفاعيلن" مثلاً إذا تأخر وتده المجموع صار (عينن مفا) وهي (مستعلنن)، وإذا تأخر السبب الخفيف (عي) صارت (لن مفاعي) وهي (فاعلاتن)، فيكون قد استخرج جزأين آخرين من الجزء (مفاعيلن) بتقليبه على وجوهه، والعلّة في تحريك الأسباب والأوتاد عنده هو أنه أراد أن يحصل على أقوال موزونة الأسباب، والأوتاد تنتهي بالساكن فيؤدّي هذا إلى القول الموزون ، وبهذا قال أبو نصر الفارابي في كتاب الموسيقى الكبير " والأقوال إنما تصير موزونة إذا كانت لها فواصل، والفواصل إنما تحصل بوقفات تامّة وذلك إنما يمكن أن يكون بحروف ساكنة، فلذلك يلزم أن تكون متحركات معدودة وأن تنتهي أبداً إلى ساكن"⁽⁵⁾.

لذا حرص الخليل على نقل الأسباب والأوتاد دون الحروف. ولعلّ مما يقوّي هذا القول أن أبا حماد الجوهري قد خالف الخليل في مذهبه في اللغة وأسقط المهملات في الألفاظ ولم يثبت إلا المستعمل وخالفه أيضاً على هذا النحو في العروض، فلم يقلّب الأسباب والأوتاد، واكتفى بإثبات المستعمل من الأوزان، وأسقط المهملات ثم تناول مهملات الأوزان وقاسها

على مهملات الألفاظ فكما أدَّى تقليب الألفاظ على وجوها إلى مهملات الألفاظ أدى تقليب التفاعيل إلى مهملات الأوزان.

كان لابد للخليل لما أراد حصر الألفاظ العربية أن يقع على مهملات الألفاظ ، فعنده أن كل لفظة يمكن أن تقع في كلام العرب لا تخرج من أنها تتكون من حروف العربية الثمانية والعشرين . وعلى هذا تقاس مهملات البحور . فكل قول موزون يقع في كلام العرب لا يتعدى أن يكون مكونا من مجموعة الأسباب والأوتاد التي أثبتتها الخليل، فنظام الدائرة عند الخليل هو الذي أدَّى به إلى أن يفترض أن لبعض البحور أصولا مهمة . فقد وجد المديد مثلا وهو من ستة أجزاء ولا يتسنى فكّه من الدائرة حتى يكون ثمانى الأجزاء . فهذه البحور لم تقع في أشعار العرب وإنما فرضها نظام الدائرة.

أما عن مذهب الخليل في مهملات الألفاظ فيفسره قول الأزهرى: "وقد أشكل معنى هذا الكلام على كثير من الناس حتى توهم بعض المتحذلقين أن الخليل لم يف بما شرط لأنه أهمل في كلام العرب ما وجد في لغاتهم مستعملا وإنما أراد الخليل رحمه الله أن حروف أب ت ث عليها مدار كلام جميع العرب، وأنه لا يخرج شيء منها عنه وأراد مما ألف منها معرفة جميع ما يتفرع منها إلى آخره وإنما أسس ورسم بهذه الحروف يصرف به ما هو في ألفاظهم إذا تتبع" (6).

فعند الخليل أن كل لفظة من الألفاظ العربية لا تخرج عن كونها تتكون من حروف العربية الثمانية والعشرين وعلى هذا قاسوا الأوزان، وكل بحر من البحور العربية لا يخرج عن كونه مكونا من أجناس العروض الثمانية، وعلى هذا قاسوا الأوزان، وقد أدَّى به تقليب الأجناس على أسبابها وأوتادها إلى هذه البحور المهمة يقول القزويني "إن الدوائر بنظامها وطريقة فكّها اضطرت الخليل أن يفترض لبعض البحور أصولا وهمية غير مستعملة فقد وجد المديد وهو من ستة أجزاء لا يتسنى فكّه في دائرته حتى يكون ثمانى الأجزاء" (7) فالخليل عندما جعل ربّ دائرة المختلف ثمانى الأجزاء وهو:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

كان كل ما استخرجه في هذه الدوائر ثمانِي الأجزاء، وهي الطويل والبسيط والمديد والبحرين المهملين، فقد اضطره نظام الدائرة أن يجعله ثمانِي الأجزاء ومن ثم يمكن أن يرده إلى أصله بأن يذكر بأنه لم يستعمل إلا مجزؤا ويقول القزويني أيضاً "إن بعض الدوائر تضمّنت بحورا مهمة غير مألوفة ولا معروفة لم تنظم فيها القدامى قبل الخليل وإنما فرضها نظام الدائرة فرضا لأن في طبيعة الدوائر العروضية أن يفكّ عند كلّ وتد أو سبب فيها بحر من بحورها وهو الذي أفضى إلى استخراج تلك البحور المهمة في دائرة المختلف والمشتبه والمؤتلف" ⁽⁸⁾ فكأنّ تناول الخليل للأسباب والأوتاد هو الذي أفضى إلى تلك البحور المهمة وكان يمكن للخليل أن يتجنب هذه البحور المهمة إذا تناول سببين معا فأخّرهما أو تناول فاصلة فأخّرهما كما في دائرة المؤتلف فبحر الوافر وزنه:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

فإذا أخرنا الوتد المجموع صارت:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

فإذا أخرنا السبب الثقيل (مُت) صارت:

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

وهو بحرٌ مهمل ويمكننا أن نتجنّب هذا المهمل إذا تناولنا الفاصلة الصغرى في (متفاعلن) وهي (متفا) فأخّرناها فنرجع إلى :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

وهو الوافر من غير أن نفعّ على البحر المهمل، لأنه حرك الفاصلة كلّها وهي تتكون

1. - بناء على مفاعيلن فعولن ثماني مرات شاهده:

لقد أبدتُ سليمي غداةَ الجزع وجهاً

كبدٍ التّم حسناً وضوءُ الشمس نورا

2- وبناء على مفعولات مفعول ثمانية أجزاء شاهده:

ما بالدارٍ من حاجزٍ لما نزلنا بـ

ها كالمها ترتعى بين الخُرد العين

3- وبناء على مفعول مفعولان ثمانية أجزاء وشاهده:

إنّ الغزالَ الأغيدَ الجيدَ أضنى مُهج

تي باهتزازٍ القدّ كالغصنٍ لمّا مالَ

4- وبناء على فاعلن فاعلاتن:

قد رمتني سليمي بسهام الجفون

ثم قالت دعوه فالسما كان دوني

5- وأهملت مجزوء الطويل:

لعمري لقد نادى سويّد أخاه فلم يسمع نداه

نكتفي بهذا القدر من مهملات ابن القطاع التي وصفها بقوله: "وهذه البحور التي ذكرتها لم ينظم عليها أحد من المتقدمين ولا المتأخرين وفعلت في استخراجها فعل الخليل وليس له غير السبق"⁽¹⁰⁾.

وقد أدخل ابن القطاع في مهملات البحور التي لم تستعمل إلا مجزوءة كالتام من المديد والهزج والسريع والمضارع والمقتضب والمجث، فأدرج أصولها في المهملات، ثم نظر إلى البحور التي لم تستعمل مجزوءة كالطويل والمتقارب، فأدرج مجزوءاتها في المهملات، ثم كان مساسه بالأسباب والأوتاد السبب في زيادة عدد المهملات، وهذا ما تجنبه الخليل فلم

يحرّك إلا سببا أو وتدا، وكان هذا أيضاً سببا في انتهاء بعض المهملات بالمتحرك وهذا لم يقع إلا نادرا في بحور الخليل.

مهملات أبي البقاء الرندي:

خالف أبو البقاء الرندي مذهب الخليل في استخراج المهملات فقد اطّرح بعض مهملات الخليل وخرج عن الدائرة في استخراج بعض المهملات. استخرج أبو البقاء تسعة أبحر سمّاها الأوزان المهمة⁹ وهي عنده: الوسيط والوسيم والمنتد والمنسرد والمطرّد و الخبب والفريد والعמיד، نذكر منها:

1. **المستطيل:** ويقال له الوسيط وهو مقلوب الطويل، وأجزاؤه (مفاعيلن فعولن) مرتين

في كل وهو الذي ذكره ابن القطاع في مهملاته إلا أنه ساق مثالا آخر هو:

لقد هاج اشتياقي غريز الطرف أحوز

أدير الصدغ منه على مسكٍ وعنبر

وهو قد وافق الخليل في إدراجه في المهملات إلا أنه خالفه في الطريقة التي استخرجه بها من الدائرة، فقد فكّ الخليل هذا البحر من المديد في دائرة المختلف وصورته:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

فأخر الخليل السبب الخفيف "قا" من "فاعلاتن" فيصير:

علاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن فا

أو:

عِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَا

عِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَا

وصورته:

مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ

مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ

وهو ساقط في الاستعمال، لذلك سمّاه الخليل "مهملاً"، أما الرندي فأخرجه فقد أخرجه من بحر الطويل بتأخير "فعولن" كاملة، قال ومبدؤه من أول الجزء الثاني من الطويل وهو مفاعيلن. كما أنه أخرج مهملاً ثانياً من دائرة المختلف وسمّاه الوسيم، قال : ومبدؤه من من سادس الجزء الثاني من الطويل ، أي من "لن" في "مفاعيلن" وشطره:

فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن

قال: وهو مَثْمَنٌ ومَرَبَعٌ فَبَيْتٌ مَثْمَنٌ:

قد شجاني حبيبٌ واعتراني أدكارُ

ليته إذ شجاني ما شجنتي الديارُ

وابن القطّاع الصقلي سابقٌ في زمانه لأبي البقاء الرندي فقد توفي ابن القطّاع في سنة 615هـ بينما توفي أبو البقاء في 684 هـ، ولا شك أنّ أبا البقاء أفاد من منهج ابن القطّاع في تخريج مهملاته.

ونجد أن بعض الشعراء المجيدين كأبي العتاهية قد نظموا في بعض البحور المهمة، كأبي العتاهية في قوله:

للمنون دائراتٌ يُدرنَ صرفها

هَنُّ يَنْتَقِينَا واحدا فواحدا

كما نظم أيضاً على مقلوب المديد في قوله:

عُتِبَ ما للخيالِ خَبْرَني ومالي لا أراهُ أتاني زائراً مذ ليالي

وقال ابن بري "وقد تجافى بعض المتعسفّين عن هذا العلم ووضعوا منه واعتقدوا أنّه لا جدوى له، واحتجوا بأنّ صانع الشعر إذا كان مطبوعاً على الوزن، فلا حاجة له بالعروض كما لم يحتج إليه من سبق الخليل... ولأنّ بعض كبار الشعراء لم يقف عند ما حدّه الخليل

وحصره من الأعاريض ، ولما قال أبو العتاهية أبياته التي أولها:

عُتِبَ ما للخيالِ خُبْرِي ومالي

قيلَ له : إنك خرجت عن العروض، فقال: أنا سبقْتُ العروض⁽¹¹⁾

وقد حاول العروضيون أن يبرروا سبب إهمال كل بحر من البحور كما حاول اللغويون تبرير سبب إهمال ما أهمل من الألفاظ⁽¹²⁾

وهذا هو القول في إهمال ما أهمل من البحور مما تحتمله قسمة تركيب الأوزان يقول الجنزي: "اعلم أنَّ العرب أهملت بعض هذه البحور وغيرت الباقي عن حاله وأهملت ما أهملت من المهملات لاستئصالها لها في الذوق وغيَّرت الباقي حتى عاد إلى الاعتدال"⁽¹³⁾. وقال الصاحب بن عباد "اعلم أنَّ البحور على ثلاثة وأربعين بحرا قسم أنشدت عليها العرب وقسم استنقلته فأهملته"⁽¹⁴⁾. وقال أبو الفرج الأصفهاني: في ترجمة عبد الله بن السميدع البصري أحد تلاميذ الخليل "وكان يقول أوزانا من العروض غريبة في شعره ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه وزين العروض فأتى منه ببذاءة جملة وجعل أكثر شعره من هذا الجنس ولم يصلنا من شعره سوى قصيدة واحدة احتفظ بها ياقوت في معجمه أولها:

قربوا جمالهم للرحيل غدوة أحبُّك الا قريوك

خَلْفُوكْ ثم مضوا مدلجين مفردا بهمَّك وما ودعوك

... وإذا أمعنا النظر في هذه القصيدة وجدنا أنها تجري على وزن من أوزان الخليل المهملة على أنه ينبغي أن تعرف أن هذه الأوزان المهملة لم تشع على ألسنة العباسيين وكأنهم أحسوا نقص أنغامها وإيقاعها بالقياس إلى الأوزان المستعملة"⁽¹⁵⁾.

ويقول الدماميني: "وبعض الناس أنكر الدوائر أصلا وقال إنما سمعناهم نطقوا بالمديد مسدسا وبالبسيط (فعلن) للعروض وبالوافر (فعولن) في العروض والضرب وبالهزج والمقتضب والمجتث مربعات فمن أين لنا أن ندرك أن أصل عروض الطويل كان (مفاعيلن) بالياء وأن المديد كان ثمانية أجزاء وأنَّ (فعلن) في البسيط كان أصله (فاعلن)"⁽¹⁶⁾ وقد كانت هذه البحور المهملة سببا للثورة على نظام الدائرة كما كانت الألفاظ المهملة سببا لثورة

الجوهري على منهج الخليل في اللغة.

وأورد الدماميني هذه البحور المهمة وحاول أن يذكر تعليلاً لإهمال كل بحر من البحور يقول الدماميني في مهملات دائرة المختلف "وتشتمل هذه الدائرة على بحرین مهملین أحدهما وزنه مفاعيلن فعولن أربع مرات عكس الطويل ويسميه بعضهم المستطيل وحكى عن الخليل أن العرب لم تستعمله وأن السبب في إهماله ما يلزم من وقوع سببين بين وتدين في أوله فلا يمكن زحافهما واعترض بأن هذه العلة لو صحت للزم إهمال الهزج والمضارع والمقتضب لأن كلا منهما مبني على سببين بين وتدين فلا يمكن زحافهما فأجيب بأنه لا يمكن في تأليفها إلا ذلك إذ لا خماسي فيها بخلاف ذلك لأن فيه خماسياً فيخرج من المحذور بتقديمه والأشبه ما قاله الزجاج: "مفاعيلن لو وقع أوله لجاز خرمه لأن أوله وتد مجموع ويلزم أن يقع الخرم في جزء أصله أن يقع في ذلك اللفظ في حشو البيت، ولا نظير له واعترضه أبو الحكم بأن هذا لو صح لما وقع الحزم في مفاعيلن في الهزج لوقوعها في الطويل حشوا لكن قد وقع فيها فدل على عدم اعتبار هذه العلة" (17).

ويقول الحفناوي: "وقد أهمل هذا البحر لئلا يختلط ببحر الهزج" (18). والأرجح الحمل على قول الحفناوي لقول الدماميني "وقد حكوا للهزج عروضاً محذوفة مثل ضربها وأنشد" (19):

سقاها الله غيثاً من الوسمى ريا.

فتكون حينئذ على:

مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن.

فيكون هذا من مجزوء مقلوب الطويل المهمل فحكم الدماميني بشذوذه فقال (فهذا في غاية الشذوذ" (20). فلعل هذا يبرر إهمال مقلوب الطويل ولم ترد أشعار على هذا من أشعار القدماء إلا بعضاً مما أورده الدماميني من نظم المولدين:

لقد هاج اشتياقي غريز الطرف أحور

يدير الصدغ على مسكٍ وعنبر (21)

أما المهمل الثاني فهو مقلوب المديد:

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

فلعل السبب في إهمال هذا البحر تقديم الجزء القصير (فاعلن) على الطويل (فاعلاتن) وفي سائر البحور المركبة نجد أن المقطع الطويل مقدم على القصير كما نجد في بحر البسيط:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وفي المديد:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

فلعل السبب في إهمال هذا البحر تقديم الجزء القصير (فاعلن) على الطويل (فاعلاتن) وفي سائر البحور المركبة نجد أن المقطع الطويل مقدم على القصير كما نجد في بحر البسيط:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وفي المديد:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

إلا في بحر الطويل فقد قدم (فعولن) على (مفاعيلن) لأنها وإن كانت أقصر من (مفاعيلن) وكان عدد حروفها أقل إلا أنها أقوى من (مفاعيلن) في جرسها فلذلك تقدمت على (مفاعيلن). أما الدائرة الثانية فهي دائرة المؤتلف ففيها بحر واحد مهمل هو:

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

ويمكن التخلص من هذا البحر المهمل بتحريك الفاصلة من متفاعلين بد من السبب الثقيل كما مرّ ويقول الدماميني في علة إهماله "وقال الصفاقسي والبحر المهمل في هذه الدائرة وزنه: فاعلاتك (ست مرات). والسبب في إهماله ما يلزم عليه من المحذور وهو إما لزوم الوقف على المتحرك أن ترك الحرف الأخير على حالة من التحرك أو عدم تماثل أجزاء البيت أن سكن لأنه من دائرة المؤنثف وهي مبنية على تماثل الأجزاء قال وقد استعمله بعض المولدين واركتب محذور عدم التماثل فقال:

ما رأيت من الجأثر في الجزيرة

إذ رمين بأسهم جرحت فؤادك

قال: ويقول الشريف إن السبب في إهماله ما يلزم عليه من تفريق السبب الثقيل من الخفيف وكلاهما كالصوت الواحد الذي لا تُفَرَّق أبعاضه" (22) فكأن الشريف يرى وجوب تحريك الفاصلة الكبرى للتخلص من هذا المهمل.

والدائرة الرابعة المشتبه وفيها ثلاثة مهملات أول المهملات:

فاعلاتن فاعلاتن مستقع لن

فاعلاتن فاعلاتن مستقع لن

يقول الدماميني: "إن سبب أطراحه ما يلزم عليه لو تمّ من وقوع (مستقع لن) المفروقة الوند في العروض وهو مجتنّب عندهم لأنها عمدة والأسباب مع الوند المفروق ضعيفة ولهذا لم يجئ السريع تاماً وأقول ولو جزئ هذا البحر لالتبس بمجزوء الرمل" (23) ويكون التباسه ببحر الرمل المحذوف العريض والضرب ويكون كلاهما على هذه الصورة:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

والبحر المهمل الثاني في هذه الدائرة هو:

مفاعيلن مفاعيلن فاع لا تن

مفاعيلن مفاعيلن فاع لا تن

وقال الدماميني: "وعلى الزجاج أطراحه مما تقدم من أنه لو جُزئاً لالتبس بمجزوء الهزج"⁽²⁴⁾، ويصير كل منهما حينئذ:

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

البحر الثالث المهمل:

فاع لا تن مفاعيلن مفاعيلن

فاع لا تن مفاعيلن مفاعيلن

وقال الدماميني "لا علة لأطراحه إلا عدم السماع"⁽²⁵⁾

ولعل هذه العلة أبين العلل لأن كلّ البحور المهمة إنما بني إهمالها على عدم السماع وحكم عليها كما حكم على المهملات من الألفاظ فما لم يرد منها في أشعار العرب عد مهملاً لأن العرب لم تقل عليه.

الدائرة الخامسة هي دائرة المتفق وربما هو (المتقارب) قال ابن فارس "وبعضهم قد تعاطى الفك فأخرج (فاعلن) من (فعولن) بتقديم السبب على الوند وسموه الخيب والمتسق وركض الخليل وقد يجئ في الشعر المحدث (فعلن) و(فعلن) بقطع الوند وأنشدوا:

أشجاك تشنت شعب الحي فأنت له أرق وصب"⁽²⁶⁾

وقال صفى الدين الحلى "أصل المتدارك (فاعلن) ثمانى مرات وقد أخرج قوم من المتأخرين كأبي الحسن الأخفش هذا البحر من المتقارب مفكوكاً منه بتقديم السبب على الوند وإنما لم يثبت الخليل إمّا لعدم وجود بيت في أشعاره على هذا البحر أو لمخالفته أصوله إذ الأصل أن القطع مختص بالأعاريض والضروب وفي هذا البحر جاء القطع في الحشو والمشهور أنه سعى بالمتدارك كأنه أخذ من التدارك وهو التلاحق وبعضهم سماه

ركض الخيل من قوله ركضت الخيل برجلي كأنه ركض المتقارب وبعضهم المتقاطر لتقاطر حركاته شيئاً فشيئاً وبعضهم صوت الناكوس وبعضهم المتراكب وبعضهم الخبب" (27).

والمأمل في جملة هذه الأسماء يجد أنها ذات مدلول واحد وهو أنها توحى بالسرعة فالجزء الخماسي (فاعِلن) لم يتحمل أن يكون بحراً وحده لسرعته وقصره وإنما استعمل مع الجزعين السباعيين (مستفعلن) في البسيط و(فاعلاتن) في المديد واحتمل الجزء الخماسي فعولن أن يكون بحراً وحده لقوته بتقديم الوند المجموع على السبب الخفيف إذ إنه يجيء في أبيات المضارع.

أما تسميته بالمتدارك على أن الأخفش قد تداركه على الخليل فلا يدل على أن كان يجهله إذ أن وقوع الخليل عليه في دائرة المتفق ضربة لازب فلكي تكتمل الدائرة كان لابد من خروجه منها بتقديم السبب على الوند.

وأحسب أن الخليل قد ذكره في المهملات وجاء الأخفش فأثبتته في البحور المستعملة إما لأنه وجد أن العرب قد قالت عليه شعراً وإما أنه أثبتته لكي تنظم عليه الشعراء وقد أثبت الخليل المضارع والمقتضب وأنكرهما الأخفش وزعم أنه لم يسمع منهم شيء على ذلك (28).

ربما كان إثبات الخليل لهذين البحرين قائماً على استحسانه لهما وأثبتتهما لكي تنظم عليها الشعراء.

وقد أورد القطفي في (إنباه الرواة) قصيدتين للخليل في المتدارك يقول القطفي: "وللخليل قصيدة على (فعلن) ثلاثة متحركات وساكن:

سئلوا فأبوا فلقد بخلوا

فلبئس لعمرك ما فعلوا

وأخرى على (فعلن):

هذا عمرو يستعفى من

زيد عند الفعل القاضي" (29)

فإن صَحَّت نسبة هاتين القصيدتين للخليل لم يصح أن الخليل قد أهمل هذا البحر ويكون تعليل ذلك أن الخليل قد أثبت أول الأمر ونظم عليه ثم استهجنه بعد ذلك فاطَّرحه.

ومن المحدثين الذين تعرَّضوا لدراسة المتدارك في مقال مفرد صادق أبو سليمان وهو في مُجمل دراسته يعترف ببحر المتدارك بحراً عروضياً مستعيناً في هذا بالمنهج اللغوي الوصفي الذي يقول بوصف الظاهرة المدروسة كما هي وعدم استثناء شيء منها، ويرى أنه بحرٌ يتمتع بموسيقا سلسة جذابة وفيه رنةٌ موسيقية مطربة وطواعية جعلت كثيراً من الشعراء المحدثين والمعاصرين يكثرّون النظم عليه⁽³⁰⁾ وأرى أن الدكتور صادق أبو سليمان محقٌ فيما ذهب إليه فإننا نجد الفحول من الشعراء المعاصرين من أمثال أحمد شوقي ينظم على المتدارك، يقول:

مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ وَيَكَاهُ وَرَحَمَ عُدُّهُ

وله أيضاً:

النَيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْثَرُ وَالْجَنَّةُ شَاطِئُهُ الْأَخْضَرُ

وهي قصائد مستعذبة.

ونجد قصيدة مشهورة مثل قصيدة "قارئة الفنجان" لنزار قباني، وهي على وزن الخبيب أيضاً رزقت سيرورة بين عُشَّاق الشعر، وغناها المغني المصري الراحل عبد الحليم حافظ وهذا دليل على أن هذا الوزن لا يستعصي على الألمان.

وقد كان الجدل حول المتدارك واسعاً في أوساط الباحثين وقد كُتِبَ حوله بحوث كثيرة نذكر منها:

- 1- أسطورة تدارك الأخفش للبحر المتدارك، للدكتور محمد عبد المجيد الطويل، مجلة عالم الكتب 1997
- 2- المتدارك بين الإغفال والإثباب، دراسة في ضوء المنهج اللغوي، للدكتور صادق عبد الله أبو سليمان كتاب المؤتمر العام للغة العربية الجزء الثالث، الجامعة الإسلامية غزة عام 2001م..

3- /بحور لم يؤصلها الخليل- بحر الخبب، للدكتور عمر خلوف، مجلة الدراسات اللغوية عام 2003 م.

4- حكاية البحر المتدارك للأستاذ بديار البشير، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط بالجزائر عام 2005.

وفيها غنى لمن أراد أن يستفيض في البحث في أصل المتدارك ولكن نطاق البحث يضيق عن تفصيل هذه الآراء.

استعمال البحور المهملة:

ذهب الزمخشري إلى جواز النظم في البحور المهملة وبَيَّن حُجَّتَهُ قائلًا "فصل" أقدمه بين يدي الخوض فيما أنا بصده في بناء الشعر العربي على الوزن المخترع الخارج عن بحور شعر العرب لا يقدح في كونه شعرا حتى يحام فيه على الوزن من أوزانهم والذي ينصر المذهب الأول أن حدَّ الشعر لفظ موزون مقفًى يدل على معنى فهذه أربعة أشياء اللفظ، المعنى والوزن والقافية، فاللفظ وحده هو الذي يقع به الاختلاف بين العرب والعجم فأما الثلاثة الأخر قصيدة على قافية لم يقف بها أحد من شعراء العرب ساغ ذلك مساغا لا شك فيه وكذلك لو اخترعنا معاني لم يسبقونا إليها لم يكن بنا بأس بل يعد ذلك من جملة المزايَا وذلك لأن الأمم عن آخرها متساوية إلى المعاني والقوافي وكذلك الوزن يتساوى الناس في معرفته والإحاطة بأن الشئيين إذا توازنا وليس لأحدهما رُجحان على الآخر كان ذلك ككفتي الميزان⁽³¹⁾.

فالزمخشري يرى أن استعمال المهملات جائز ما دامت مستوفية لشروط حد الشعر من لفظ ومعنى ووزن وقافية فليس النظم عليها بمحذور لديه وذهب ابن عبد ربه إلى عدم جواز استعماله فقد قال بعد ذكر الأوزان المستعملة

هذا الذي جرَّبه المجرب

من كل ما قالت عليه العربُ

فكل شيء لم تقل عليه

فإننا لم نلتفت إليه

ولا تقول غير ما قد قالوا

بأنه من قولنا محال (32).

وذهب القناوي إلى أنَّ القدماء لم ينظموا عليه وإنما نظم عليه المولِّدون، قال "ومراد المصنف يعني الدمنهوري أسماء البحور التي نظمت عليها العرب فخرج بذلك الأبحر الستة المهمة فإنه لم ينظم منها إلا المولِّدون (33) فكل الأشعار التي نُظمت في المهملات كانت من نظم المولِّدين لأنهم لم ينظموا عليها إلا بعد أن عرفوها، أي أنهم استعانوا في نظمها بمعرفتهم بالعروض ولم يبدِ اعتراضاً عليهم، ويأبى ذلك ابن رشيق إذ يقول "ولو أن الخليل رحمه الله وضع كتاب العروض ليتكلَّف الناس ما فيه من الزحاف ويجعلوه مثالا دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مُزاحفا ليدلَّ بذلك على علمه وفضل ما نحا إليه وإني وجدت العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق إلا في الشعر خاصة فإنَّ عمله بالطبع دون العروض أجود" (34) فالمُحدثون إنما تكلفوا النظم على هذه الأوزان تكلفاً ولم يعتمدوا فيها على الطبع ولم تنظم عليها العرب ولم يعرفوها حتى وقعت في دائرة الخليل فتكلفوا النظم فيها.

ويقول محمود مصطفى "إن كل ما خرج على أوزان الشعر ليس بشعر وإنما هو من عمل المولدين الذين رأوا أن حصر الأوزان يضيق عليهم مجال القول، وهم يريدون أن يجري كلامهم على الأنغام الموسيقية التي نقلتها إليهم الحضارة، وهذه لا حدَّ لها، وإنما جنحوا إلى تلك الأوزان لأن أدواقهم تربت على إلفها واعتادت التأثر بها، وإن كان هناك بعض الشعراء في العصر العباسي قد تبرَّم بأوزان الشعر في من يحاول ما لا يستطيع هو عيب من لا يستكمل الوسائل ثم يريد الطفور إلى الغايات". (35)

أما إبراهيم أنيس فيرى أنَّ من الممكن للمحدثين من الشعراء أن يجددوا ولكن بقدر وأناة ورفق حتى لا يفجأوا قراءهم وسامعيهم بما لم يألَفوا، أو بما لا يمت للقديم بأي صلة، وإنما يكون ذلك بالاختصار في نظمهم على ما شاع من أوزان وإهمال غيرها إهمالا تاما . فإذا ابتكروا وزناً حاولوا جردهم أن ينظموا منه كثيرا ، وأن يتعاونوا في كثرة النظم منه بحيث يصبح شائعا مألُوفاً ، وتقرب نسبة شيوخه من تلك الأوزان التي ألفتها الناس وتعودوها. وليس من المعقول طبعاً أن يكون لكل شاعر أوزانه الخاصة، بل لا بد من الاتحاد في معظم الأوزان والتقارب في نسبة شيوخها في أشعار الشعراء، حتى تألفها الآذان وتستريح إليها

نفوس السامعين ولا نستطيع أن نتصور تلك العقول الجبارة التي أخرجت روائع الأخبلة والمعاني السامية عاجزة أو قاصرة عن التجديد والابتكار في موسيقى الشعر أيضاً" (36) والمتأمل في خروج بعض الشعراء على الأوزان التي ارتضاها الخليل وأثبتها في مستعملات الأوزان يجد أنها لم تُرزق السيرورة في بلاد المشرق إلا ما كان من أمثال رزين العروضي حيث خرج في بعض أشعاره عن العروض الخليلي ومن هذا الضرب قوله في مدح الحسن بن سهل:

قربوا جمالهم للرحيل غدوةً أحببتك الأقربوك
خلفوك ثم مضوا مدلجين مفرداً بهمك وكما ودّعوك

ولم يتبعه أحد فيما ابتدعه وما أحسب أنه صنعه إلا من باب الرياضة لذا سُمي بالعروضي كذلك نجد الخروج في السلسلة والدوبيت والقوما وهي مما يدخل في الأوزان العامية.

أما في الأندلس فنجد أن الموشح قد خرج في كثير من صوره عن الأوزان الخليلية واستعذبه أهل الأندلس، وكان أصحاب هذه الصنعة يربطون منها ما وافق الأوزان القديمة كما قال ابن سناء الملك: "الموشحات تنقسم قسمين : الأول ما جاء على أوزان أشعار العرب ... والثاني ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير والجُم الغفير" (37)، فإذا وافقها عملوا على إخراجها بكلمة أو بخرجة ولا يُبالي المغني لأوزان الموشحات بحثاً فيه تفصيل لما أجملته ها هنا.

أما في الأشعار البدوية في الشعر العامي فنجد أن الأوزان المهمة كمقلوب المديد ومقلوب الطويل قد شاعت في أشعار البدو التي لا تراعي الإعراب، وهذا مبحث يطول.

ومن هذا نخلص إلى أن الشعر الفصيح الذي تمّ نظمه على الأوزان الخليلية هو الذي التزم الأوزان المستعملة أما الذي اتخذ صوراً أخرى كالموشحات والزجل وبقية الأوزان المحدثّة فقد خرج من قيد الوزن الخليلي، ولكن لم يخرج عن كونه شعراً وهو يصلح للتغني به. ولكن إذا نظرنا لفنّ الموشحات نجد أنه ساد مع حضارة الأندلس ثمّ باد مع زوالها، وصارت الغلبة للأوزان الخليلية، ثمّ ظهر ما يسمّى بشعر التفعيلة وساد زماناً وتحدّث

أصحابه بأنه سيسود ويقضي على الوزن الخليلي ولكن النبوءة لم تتحقق، بل نجد النزعة نحو الوزن الخليلي قد عادت قوية عند الشعراء الشباب خاصة في موريتانيا والعراق وهو الموطن الذي شهد ميلاد شعر التفعيلة، وبعض شعراء الأردن وفلسطين ومصر الذين خلطوا بين الضروب الثلاث الوزن الخليلي وشعر التفعيلة وقصيدة النثر، وإن كانت قصيدة النثر سائدة في بلاد اليمن، ولكن عادة ما يستمر هذا حقبة من الزمن ثم تسود الأوزان التي خطها الخليل ونخلص إلى أن للوزن الخليلي جلالاً وأبهة وجمال تحفظ بقاءه على مر العصور كما أن الأذن العربية قد ألقت هذه الأوزان فإذا خلا منها الشعر تشوّفت النفس إليها.

أما المهمل من الألفاظ فلا يمكن أن يُقاس على المهمل من الأوزان كما فعل ابن عديّ:

وأنه لو جاز في الأبيات

خلافها لجاز في اللغات

فكان ابن عبد ربه يقيس مهملات البحور على مهملات الألفاظ والعلة في الحالتين عدم السماع، ولكن وجه القياس غير جائز، ونحن نعجب لابن عبد ربه أن يقول مثل هذا الكلام وهو الذي عاش في بيئة أندلسية شهدت ميلاد الموشحات الأندلسية التي خرجت في بعض صورها على الأوزان خروجاً ساغ للأذن الأندلسية وطاب لها.

المصادر:

- (1) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الله درويش، طبع العاني، بغداد 1967/46.
 - (2) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، دار صادر بيروت، 1344: 3.
 - (3) الكشكول، بهاء الدين بن حسين العاملي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1380، 31/1.
 - (4) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1384هـ: 49.
 - (5) الموسيقى الكبير، الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن حرقان، طبع دار الكاتب العربي د ت: 1085.
 - (6) تهذيب اللغة، 49.
 - (7) شرح تحفة الخليل، محمد حسين القزويني، دار الكتب المصرية، 1969: 40.
 - (8) المصدر نفسه: 39
 - (9) القسطاس في العروض: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، بيروت 1989: 40
-
- (62) مجلة جامعة الأزهر - غزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2012، المجلد 14، العدد 2

مهملات الأوزان في الدوائر العروضية - دراسة وموازنة

- (10) المهملات من الدوائر، ابن القطاع الصقلي، أبو القاسم بن علي بن جعفر، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت الرقم 4 ش عروض بدار الكتب بالمكتبة الخديوية ضمن مجموعة في 102 ورقة وهذا المخطوط هو الثاني في الترتيب من صفحة 40 . 45. وقد أشار إليه محمد عبد الدايم في مقدّمة تحقيق كتاب البار، طبع المطبعة الفيصلية، مكة المكرمة، 1985.
- (11) المعيار في أوزان الأشعار، أبو بكر محمد بن سراج الشنتريني، تحقيق محمد رضون الداية دمشق، 1391هـ: 120_124.
- (12) يقول ابن جني: "أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأمر متروك للاستئقال فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو صص وجج وحق" الخصائص، عثمان بن جني الموصلي، دار الهدى بيروت، 1331هـ. 54، ويقول ابن فارس: "المهمل على ضربين ما لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة وذلك كجم تؤلف مع كاف أو كاف تقدم على جيم وكعين مع غين أو حاء مع هاء أو غيره. وهذا وما أشبهه لا ينتلف والضرب الآخر ما يجوز تألف حروفه ولكن العرب لم نقل عليه وذلك كإرادة مريد أن يقول عضخ فهذا يجوز تألفه وليس بالنادر ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة خضع ولكن العرب لم نقل عضخ". ويقول السيوطي: "علم أنّ واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكرة على جميعها ورأى تصويره وجوه جملها وتفاصيلها فعلم أنه لا بد من رفض ما شنع تأليفه فنفاه عن نفسه ولم يمزجه بشيء من تأليفه" المزهر، السيوطي: 1/245.
- (13) الدوائر العروضية الجزئية، عمر بن عثمان بن شعيب، مخطوط بدار الكتب 19 عروض: 67.
- (14) القول الوافي بشرح الكافي، الصاحب بن عباد، وبحاشيته الكافي في علمي العروض والقوافي لأحمد بن شعيب القناوي مخطوط بدار الكتب 10 عروض: 3.
- (15) الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصبهاني، دار المعارف مصر، 1951: 6/150.
- (16) العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المخزومي الدماميني طبع المطبعة الميمنية بمصر 1324هـ: 82.
- (17) العيون الفاخرة: 14.
- (18) رفع الستائر عن مهملات الدوائر، الحفناوي، يوسف بن سالم بن أحمد، مخطوط بمكتبة الأزهر (40) د: 045: 57
- (19) العيون الفاخرة: 64.
- (20) العيون الفاخرة: 64
- (21) العيون الفاخرة: 14
- (22) العيون الفاخرة: 8
- (23) العيون الفاخرة: 8

- (24) العيون الفاخرة: 20
- (25) العيون الفاخرة: 20
- (26) الصحابي في فقه اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، مطبعة المؤيد بمصر 1358: 54.
- (27) المزهر، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين طبع إحياء دار الكتب العربية 1282هـ: 1 / 245.
- (28) العيون الفاخرة: 74.
- (29) إنباء الرواة على أنباء النحاة، القفطي، أبو الحسن جمال الدين بن حسن بن علي بن يوسف الشيباني، طبع دار الكتب المصرية 1369 : 423.
- (30) بحر المتدارك بين الإغفال والإثبات، صادق عبد الله أبو سليمان، منشور في كتاب مؤتمر اللغة العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، 2001
- (31) القسطاس في العروض: 4.
- (32) العقد الفريد: 5 / 440.
- (33) المختصر الشافي على متن الكافي في علمي العروض والقوافي، السيد محمد الدمنهوري، وباحثيته الكافي في علمي العروض والقوافي لأحمد بن شعيب القناوي ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر 1936: 10.
- (34) العمدة : ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المطبعة التجارية، مصر، 1383هـ: 151.
- (35) أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية: محمود مصطفى، تحقيق سعيد محمد اللحام عالم الكتب والنشر والتوزيع، 1996: 135.
- (36) موسيقى الشعر إبراهيم أنيس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981' الطبعة الثانية: 20.
- (37) دار الطراز، ابن سناء الملك، هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، تحقيق جودة الركابي، ط، دمشق، 1368هـ: 32